مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 06 العدد 01 (29) 2026/02/28
ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

Digital Image and the Formation of Children's Values: A Socio-Media Approach

Tahjeb Boughariou[1]
Faculty of Legal, Economic and Social Sciences Ibn Zohr - Morocco
boughariоune2012@gmail.com
Najat Oulamine[2]
Faculty of Arts and Humanities ibn Zohr - Morocco
najat.oulamine@gmail.com

Received : 19/01/2026 Accepted : 25/02/2026

Abstract:

This article aims to analyze the role of digital images in shaping children's perceptions and behaviors within the contemporary digital environment, using a socio-media approach that links digital medium characteristics with daily reception contexts. The study employed a mixed-methods (quantitative and qualitative) approach, utilizing a questionnaire directed at parents to monitor children's exposure patterns to visual content. The results indicate that digital images are no longer merely a means of entertainment but have become a "perceptual framework" contributing to the construction of concepts like success, attractiveness, and social acceptance through mechanisms of imitation and modeling (Bandura). The article also highlights the role of platform algorithms in increasing exposure intensity, which affects children's attention spans and linguistic communication. The study concludes with the necessity of activating "Media Literacy" as a mechanism to develop children's critical awareness to mitigate the negative effects of digital immersion.

Keywords: Digital Image; Children's Perceptions; Digital Behavior; Platform Algorithms; Media Literacy.

مجلة الحكمة للدراسات والأبحاث المجلد 06 العدد 01 (29) 2026/02/28
ISSN print/ 2769-1926 ISSN online/ 2769-1934

الصورة الرقمية وتشكيل قيم الطفل: مقاربة سوسيو إعلامية

تحجب بوغريون[1]
كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية ابن زهر–المغرب
Boughariоune2012@gmail.com
نجاة المين [2]
كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر–المغرب
najat.oulamine@gmail.com

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى تحليل الدور الذي تؤديه الصورة الرقمية في تشكيل تمثلات الطفل وسلوكياته داخل البيئة الرقمية المعاصرة، من خلال مقاربة سوسيو–إعلامية تربط بين خصائص الوسيط الرقمي وسياقات التلقي اليومي. اعتمدت الدراسة على منهجية مختلطة (كمية وكيفية) من خلال استبيان موجه لأولياء الأمور لرصد أنماط تعرض الأطفال للمضامين البصرية.

وتوصل المقال إلى أن الصورة الرقمية لم تعد مجرد وسيلة للترفيه، بل أصبحت "إطاراً إدراكياً" يساهم في بناء مفاهيم النجاح، والجاذبية، والقبول الاجتماعي عبر آليات التقليد والمحاكاة. كما أبرزت النتائج دور خوارزميات المنصات في تعزيز كثافة التعرض، مما يؤثر على مهارات الانتباه والتواصل اللغوي لدى الأطفال، ويخلق تداخلاً عميقاً بين الفضاءين الافتراضي والواقعي. وتخلص الدراسة إلى ضرورة تفعيل "التربية الإعلامية" والمرافقة الأسرية كآليات أساسية لتطوير الوعي النقدي لدى الطفل للحد من التأثيرات السلبية للانغماس الرقمي.

الكلمات المفتاحية: الصورة الرقمية؛ تمثلات الطفل؛ السلوك الرقمي؛ خوارزميات المنصات؛ التربية الإعلامية.

مقدمة:

يشهد العالم المعاصر تحولات متسارعة في أنماط تداول المعلومات والتواصل بفعل التطور الرقمي الذي جعل الصورة الرقمية في قلب التجربة اليومية للأفراد. فقد أصبحت الشاشات، بمختلف أشكالها، الوسيط الأساسي الذي يتعرّف من خلاله الناس على الأحداث والوقائع وأنماط الحياة، ولم تعد الصورة عنصرًا مكمّلًا للنص، بل تحوّلت إلى لغة قائمة بذاتها قادرة على نقل المعاني والتأثير في التصورات والسلوكيات بصورة مباشرة وسريعة.

وتبرز فئة الأطفال ضمن أكثر الفئات تعرضًا لهذا التحول، نظرا لانخراطهم المبكر في استخدام الأجهزة الذكية والمنصات الرقمية القائمة أساسًا على المضامين البصرية، سواء في الترفيه أو التعلم أو التواصل. فقد أصبحت الفيديوهات القصيرة والألعاب الرقمية والمحتويات المصوّرة جزءا من الروتين اليومي للطفل، بحيث لم يعد حضورها مقتصرًا على أوقات محددة، بل أصبح ملازمًا لمختلف فضاءات حياته داخل المنزل وخارجه.

غير أن هذا الانتشار الواسع للصورة الرقمية يثير تساؤلات حول طبيعة التأثير الذي تمارسه المضامين البصرية في تشكيل تصورات الطفل عن العالم وعن ذاته وعن الآخرين، خاصة في ظل انفتاح الفضاء الرقمي على نماذج حياتية وسلوكية متعددة قد لا تعكس دائما واقع الطفل الاجتماعي. كما يزيد من تعقيد هذه المسألة اعتماد المنصات الرقمية على خوارزميات تقترح محتويات متواصلة، مما يجعل الطفل عرضة لتدفق بصري دائم يصعب التحكم في مضمونه أو توجيهه بشكل كامل.

وانطلاقا من هذه المعطيات، يسعى هذا المقال إلى تحليل دور الصورة الرقمية في تشكيل تمثلات الطفل وسلوكياته داخل البيئة الرقمية المعاصرة، من خلال مقاربة سوسيو–إعلامية تركز على طبيعة الصورة المتداولة وسياق تلقيها وتأثيرها في إدراك الطفل للعالم المحيط به. ومن ثم تتحدد إشكالية الدراسة في محاولة الإجابة عن السؤال المركزي الآتي:

إلى أي حد تسهم الصورة الرقمية في تشكيل تمثلات الطفل وسلوكياته داخل البيئة الرقمية المعاصرة؟

واعتمد المقال مقاربة منهجية تجمع بين البعدين الكمي والكيفي بهدف تقديم تصور أكثر شمولًا للظاهرة المدروسة؛ إذ تم توظيف الاستبيان في الجانب الكمي لرصد أنماط تعرض الأطفال للمحتويات البصرية الرقمية، مع تحليل النتائج اعتمادا على التكرارات والنسب المئوية لرصد الاتجاهات العامة للاستخدام. كما

تم اعتماد قراءة تفسيرية لبعض المعطيات في الجانب الكيفي لربط النتائج الميدانية بطبيعة تفاعل الطفل مع الصورة الرقمية داخل حياته اليومية.

ويروم المقال رصد طبيعة حضور الصورة الرقمية في الحياة اليومية للأطفال، وتحليل علاقتها ببناء تمثلاتهم وسلوكياتهم، إضافة إلى فتح نقاش علمي حول سبل توجيه استخدام المضامين البصرية نحو أنماط أكثر توازنًا تساعد على الاستفادة من الإمكانات الإيجابية للوسائط الرقمية مع الحد من تأثيراتها السلبية المحتملة.

وفي هذا الإطار، ينتظم المقال في محورين رئيسيين؛ يتناول الأول التحولات المرتبطة بحضور الصورة الرقمية في تجربة الطفل المعاصرة، بينما يركز المحور الثاني على تأثير المضامين البصرية في إدراك الطفل وتمثلاته وسلوكياته داخل البيئة الرقمية.

المنهجية

اعتمد هذا المقال مقاربة منهجية تجمع بين البعدين الكمي والكيفي بهدف تقديم تصور أكثر شمولا حول طبيعة حضور الصورة الرقمية في حياة الأطفال وتأثيرها في تمثلاتهم وسلوكياتهم داخل البيئة الرقمية المعاصرة.

مجتمع الدراسة والعينة:

يتكون مجتمع الدراسة من الأطفال المستخدمين للوسائط الرقمية داخل المجال الاجتماعي المدروس، غير أن صعوبة استجواب الأطفال مباشرة دفعت إلى توجيه الاستبيان إلى أولياء الأمور باعتبارهم الأكثر قدرة على ملاحظة أنماط استخدام أبنائهم للأجهزة الرقمية والمحتويات البصرية. وقد تم اعتماد عينة قصدية من أولياء الأمور الذين لديهم أطفال يستخدمون الأجهزة الذكية أو المنصات الرقمية بصورة منتظمة.

أداة جمع المعطيات:

تم اعتماد الاستبيان أداة رئيسية لجمع المعطيات، حيث تضمن مجموعة من الأسئلة المغلقة والمفتوحة المتعلقة بمدة استخدام الأطفال للوسائط الرقمية ونوعية المضامين التي يتابعونها، إضافة إلى بعض الملاحظات المرتبطة بالسلوكيات والتغيرات الممكنة في تمثلاتهم أو تفاعلاتهم اليومية.

طريقة تحليل المعطيات:

تم تحليل المعطيات الكمية بالاعتماد على مؤشرات الإحصاء الوصفي، من خلال استخراج التوزيعات التكرارية والنسب المئوية، بهدف رصد الاتجاهات العامة المرتبطة باستخدام الأطفال للمحتويات البصرية

كما تم توظيف قراءة تفسيرية للإجابات المفتوحة والمعطيات النوعية لفهم السياق الاجتماعي .الرقمية .المرتبط باستخدام الطفل للصورة الرقمية وربط النتائج الميدانية بالإطار النظري المعتمد في الدراسة

أولا: حضور الصورة الرقمية في تجربة الطفل المعاصرة

أصبح حضور الصورة الرقمية سمة أساسية في التجربة اليومية للطفل المعاصر، ولم يعد مقتصرا على كونه محتوى ترفيهيا عابرا، بل تحول إلى عنصر بنيوي في تشكيل أنماط الانتباه والإدراك وبناء التمثلات الاجتماعية .فالطفل اليوم يتفاعل مع الصورة داخل بيئة رقمية تعتمد على منصات مصممة لإبقاء المستخدم أطول مدة ممكنة عبر تدفقات بصرية متواصلة وتوصيات محتوى متجددة، مما يجعل التعرض للمحتوى المرئي عملية يومية متكررة ترافق الطفل في فضاءات متعددة مثل المنزل والمدرسة ووسائل التنقل.

وفي هذا السياق، لم تعد الصورة الرقمية مجرد رسالة إعلامية منفصلة، بل أصبحت جزءا من بيئة استقبال مستمرة يعيش الطفل داخلها ويتفاعل معها بشكل متواصل، وهو ما يشير إليه باكنغهام (Buckingham, 2003, p. 12)عند حديثه عن تحول التجربة الإعلامية للأطفال من مشاهدة عرضية إلى انغماس يومي في الوسائط الرقمية. كما تؤكد دراسات حديثة حول استخدام الأطفال للإنترنت أن المنصات الرقمية أصبحت جزءًا من روتينهم اليومي، حيث يتنقل الطفل بين الفيديوهات القصيرة والألعاب والتطبيقات التفاعلية بصورة مستمرة، مما يؤثر في طريقة استقباله للمعلومات وتفاعله مع محيطه الاجتماعي .(Livingstone et al., 2018, p. 493)

وفي هذا الصدد، تشير الباحثة ''دانا بويد'' (Boyd,2014, p. 8) إلى أن الفضاءات الرقمية أصبحت تمثل ''الساحات العامة'' الجديدة للمراهقين والاطفال، حيث لا يبحثون فقط عن المحتوى، بل عن التواجد الاجتماعي الذي

تقلص في العالم الواقعي، مما يجعل الصورة وسيلة لإثبات الحضور أكثر منها مادة المشاهدة.

وبذلك، فإن فهم تأثير الصورة الرقمية في الطفل لا يمكن أن يقتصر على تحليل مضمون معين، بل يستلزم النظر إلى البيئة الرقمية بوصفها فضاءا تواصليا دائم الحضور يسهم في تشكيل الخبرة اليومية للطفل وبناء تصوراته عن العالم.

1.1 كثافة التعرض وتحول الصورة إلى وسيط يومي

تتميز الصورة الرقمية بقدرتها على مرافقة الطفل في تفاصيل حياته اليومية، إذ لا تتطلب شروطا معرفية صارمة للاستهلاك مثل القراءة أو المتابعة الطويلة، بل تقوم على جاذبية بصرية فورية تسمح بالتلقي السريع وإعادة التلقي دون جهد معرفي كبير. ويؤدي ذلك إلى نمط من التعرض المتكرر للمحتويات المرئية، بحيث تتحول الصورة تدريجيا إلى مصدر أساسي لاكتساب المعلومات وبناء الانطباعات اليومية لدى الطفل.

وفي هذا السياق، يذهب "ميرزوف "إلى أن الصورة في الثقافة المعاصرة لم تعد مجرد انعكاس للواقع، بل أصبحت إطارا إدراكيا يرى العالم من خلاله ويفهم عبره، حيث تشكل الثقافة البصرية اليوم أحد أهم مصادر تشكيل المعنى في المجتمعات الحديثة. وينعكس هذا التحول بوضوح في تجربة الطفل الرقمية، حيث تتشكل خبراته وتمثلاته الاجتماعية عبر تدفقات متواصلة من الصور والفيديوهات داخل المنصات الرقمية. (Mirzoeff, 2015, p. 28).

كما تؤكد الأدبيات العربية في نظريات الاتصال أن وسائل الإعلام، بما فيها المضامين البصرية، لا تنقل المعاني بصورة محايدة، بل تسهم في تكوين الاتجاهات وبناء التصورات الاجتماعية بدرجات متفاوتة تبعا لكثافة التعرض وطبيعة المحتوى والسياق الاجتماعي للمتلقي .ويزداد تأثير هذا العامل لدى الأطفال بحكم محدودية خبرتهم النقدية مقارنة بالراشدين، إضافة إلى أن الصورة تخاطب الانتباه والانفعال بسرعة أكبر من النصوص المكتوبة، مما يجعل تأثيرها أكثر حضورا في التجربة اليومية للطفل.(عبد الحميد، 2015، ص. 112)

1.2 المنصات والخوارزميات: من منطق الاختيار إلى التوجيه غير المباشر

لا يتحقق حضور الصورة الرقمية في تجربة الطفل دائما نتيجة اختيار فردي واع، بل يتم في كثير من الأحيان داخل بنية تقنية تقوم على آليات التوصية واقتراح المحتوى. فالمنصات الرقمية لا تكتفي بعرض ما يبحث عنه المستخدم، بل تبني مسارا بصريا متسلسلا عبر اقتراح محتويات مشابهة لما شاهده سابقا، وهو ما يحول عملية التلقي إلى تدفق مستمر يصعب قطعه بسهولة. وبهذا المعنى، تنتقل علاقة الطفل بالمحتوى من وضع المتلقي الذي يختار ما يشاهده إلى متلق توجه انتباهاته داخل دوائر اهتمام تعيد الخوارزميات إنتاجها باستمرار.

وتشير دراسات حديثة في مجال الإعلام الرقمي إلى أن تصميم المنصات يقوم أساسا على تعظيم زمن البقاء داخل التطبيق عبر آليات الاقتراح المتتابع للمحتوى، مما يؤدي إلى استهلاك متواصل للمضامين المرئية دون تخطيط مسبق من المستخدم (Bucher, 2018, p. 8). ويزداد تأثير هذا النمط لدى الأطفال بحكم محدودية قدرتهم على إدراك آليات عمل هذه المنصات، مما يجعلهم أكثر قابلية للانخراط في تدفقات بصرية متواصلة دون وعي كامل بمسارها أو أهدافها.(Bucher, 2018, p. 8) .

ويشير مكاوي والسيد إلى أن فهم التأثير الإعلامي لا يمكن أن يقتصر على مضمون الرسالة، بل يستلزم تحليل الوسيط وبنية الاتصال والسياق الاجتماعي الذي يتم فيه التلقي، لأن الوسائط ذاتها تسهم في إعادة تشكيل أنماط الانتباه والتفاعل داخل المجتمع. (مكاوي والسيد، 2021، ص. 204) وفي البيئة الرقمية المعاصرة، يتعزز هذا المعطى لأن الوسيط لم يعد عنصرا محايدا، بل أصبح فاعلا نشطا عبر خوارزميات الاقتراح التي تعيد ترتيب أولويات الاهتمام لدى المستخدم، بما في ذلك الأطفال.

1.3 الصورة الرقمية كأداة لبناء التمثلات والمعنى الاجتماعي

لا يقتصر حضور الصورة الرقمية في تجربة الطفل على الاستهلاك السطحي للمحتوى، بل يمتد إلى الإسهام في بناء تمثلات حول الذات والآخر والعالم الاجتماعي. فالتعرض المتكرر لأنماط بصرية معينة، مثل صور الجمال المثالي أو أنماط الحياة المترفة أو النجاح السريع أو الشهرة الرقمية، قد يحول هذه الصور إلى معايير ضمنية يقيس الطفل من خلالها واقعه، ويعيد بناء توقعاته بشأن القبول الاجتماعي والتميز؛ وهو ما ينسجم مع مقاربة التمثلات الاجتماعية التي ترى أن الأفراد يبنون فهمهم للواقع عبر الصور والرموز المتداولة في المجتمع .(Berger & luckmann, 1966, P. 105)

وتزداد قوة هذا التأثير حين تتكرر هذه الصور داخل جماعات الأقران الرقمية، حيث تتحول المضامين المرئية إلى مرجع مشترك للحديث والتقليد والمحاكاة بين الأطفال، وهو ما تؤكده دراسات الإعلام والطفل التي ترى أن الوسائط الرقمية أصبحت فضاءا رئيسيا لتشكل الهويات والتصورات الاجتماعية لدى الأجيال الجديدة (**Buckingham, 2003, p. 12; Livingstone et al., 2018, p. 493**)

كما يشير **Mirzoeff (2015, p. 28)** إلى أن الصورة في العصر الرقمي لم تعد مجرد تمثيل للواقع، بل أصبحت إطارًا يُرى العالم من خلاله ويُفهم عبره، بما يجعل التجربة البصرية عنصرًا مركزيًا في بناء المعنى

الاجتماعي. ويساعد هذا الطرح في فهم كيفية تحول الصور الرقمية المتكررة إلى نماذج مرجعية يتبناها الأطفال في تفسير النجاح أو الجاذبية أو القبول الاجتماعي.

وتساعد المقاربات السيميائية العربية على تعميق هذا الفهم؛ إذ يبرز بنكراد (**بنكراد، 2019، ص. 45**) أن الصورة ليست مجرد شكل بصري، بل نسق دلالي ينتج المعنى عبر الألوان والتكوين والزوايا والرموز، وأن تلقيها يرتبط بخبرة المتلقي وسياقه الثقافي والاجتماعي. وبذلك يصبح حضور الصورة الرقمية في تجربة الطفل حضورا دلاليا قبل أن يكون ترفيهيا، لأنها تزوده بإشارات رمزية جاهزة حول ما ينبغي أن يحب، وما يعد جديرا بالإعجاب، وما يعتبر مقبولا اجتماعيا.

وإذا كانت الصورة الرقمية تنجح في دمج الطفل داخل هذه العوالم الافتراضية، فإن هذا الانغماس يحمل ارتدادات عكسية على تواصله المادي؛ وهنا تحذر **شيري توركل** من أن الاعتماد المفرط على الاتصال عبر الشاشات قد يخلق ما تسميه "العزلة المشتركة"، حيث يكون الطفل متصلا افتراضيا لكنه منفصل شعوريا عن محيطه المباشر، مما يؤثر على قدرته على تطوير مهارات التعاطف وقراءة لغة الجسد الحقيقية(**Turkle, 2011, p. 19**).

يتبين من خلال ما سبق أن حضور الصورة الرقمية في تجربة الطفل لم يعد ظاهرة طارئة أو عنصرا هامشيا، بل أصبح جزءا من البنية اليومية لحياته وتفاعلاته الاجتماعية .ومن ثم فإن أي تحليل لتأثير الصورة الرقمية في القيم أو السلوك لدى الطفل ينبغي أن ينطلق أولا من فهم طبيعة هذا الحضور، من حيث: كثافة التعرض للمحتوى المرئي، وبنية المنصات الرقمية وآليات عمل خوارزمياتها، إضافة إلى طبيعة المعنى الذي تنتجه الصورة داخل سياق التلقي اليومي .وبذلك لا يمكن دراسة تأثير الصورة الرقمية بوصفها محتوى منفصلا، بل باعتبارها جزءا من بيئة تواصلية متكاملة تسهم في تشكيل التجربة الاجتماعية للطفل المعاصر.

ثانيا: الصورة الرقمية وتحولات السلوك والقيم لدى الطفل

بعد تحليل طبيعة حضور الصورة الرقمية في التجربة اليومية للطفل، يصبح من الضروري الانتقال إلى دراسة انعكاسات هذا الحضور على سلوكياته وبعض مؤشرات التحول القيمي المرتبطة بها. فالصورة الرقمية لا تعمل فقط كوسيط للعرض والترفيه، بل تتحول داخل البيئة الرقمية إلى عنصر مؤثر في أنماط التفاعل الاجتماعي، وأساليب التعبير، وطرائق تقييم الذات والآخر.

إن التعرض المتكرر للمحتويات المرئية داخل المنصات الرقمية قد يرتبط بظهور سلوكيات جديدة لدى الطفل، سواء في شكل تقليد بعض الشخصيات الرقمية، أو تبني عبارات وأساليب تواصل مستمدة من الفضاء الرقمي، أو تغير في طبيعة اهتماماته اليومية. وتفهم هذه التحولات في ضوء نظريات التعلم الاجتماعي التي تؤكد أن الطفل يكتسب جزءا من سلوكه عبر الملاحظة والمحاكاة، خاصة عندما تكون النماذج المعروضة جذابة ومتكررة الظهور.(Bandura, 2001, P.272)

كما أن بعض هذه السلوكيات قد تحمل في طياتها مؤشرات على تحولات قيمية ضمنية، مثل إعادة ترتيب أولويات النجاح أو الاهتمام بالمظهر أو البحث عن القبول داخل جماعة الأقران الرقمية. غير أن هذه التحولات لا ينبغي فهمها في إطار سببي مباشر، بل ضمن شبكة من العوامل المتداخلة، من بينها درجة المرافقة الأسرية، ومستوى الوعي النقدي لدى الطفل، وطبيعة السياق الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه .

وبناءا على ذلك، يسعى هذا المحور إلى تحليل العلاقة بين التعرض للصورة الرقمية وبعض مظاهر التحول السلوكي والقيمي لدى الطفل، مع التركيز على المؤشرات التي يمكن رصدها ميدانيًا، مثل التقليد، والتحولات في اللغة، ودور الأسرة في ضبط التلقي، وأهمية التوعية بالتربية الرقمية.

2.1 التقليد والمحاكاة كآلية لتشكل السلوك

يعد التقليد والمحاكاة من الآليات الأساسية التي يتشكل عبرها السلوك لدى الطفل، خاصة في المراحل العمرية التي يكون فيها التعلم قائما بدرجة كبيرة على الملاحظة. وتشير نظرية التعلم الاجتماعي إلى أن الأطفال يكتسبون أنماطًا سلوكية من خلال مشاهدة نماذج متكررة داخل محيطهم، ثم إعادة إنتاجها في سياقات مختلفة، خصوصًا عندما ترتبط هذه النماذج بمكافأة رمزية أو قبول اجتماعي .(Bandura, 2001, P. 275)

وفي البيئة الرقمية، تتضاعف فرص المحاكاة بسبب كثافة التعرض للمحتوى وسهولة إعادة المشاهدة، حيث تقدم المنصات شخصيات رقمية ومؤثرين يعرضون سلوكيات وأساليب تواصل قابلة للاستنساخ بسهولة. ومع التكرار، قد تنتقل بعض الحركات أو العبارات أو أساليب التعبير من الفضاء الرقمي إلى الحياة اليومية للطفل، مما يعكس تداخل المجالين الرقمي والاجتماعي (عيد الحميد، 2015، ص . 115) .

وتؤكد دراسات الإعلام والطفل أن المحاكاة لا ترتبط فقط بالمحتوى ذاته، بل أيضا بمدى جاذبية النموذج ودرجة اندماج الطفل في البيئة الرقمية. فكلما شعر الطفل بانتمائه إلى جماعة رقمية معينة، ازدادت قابلية تبني بعض رموزها وسلوكياتها.

ويشير عبد الحميد (ص.112 ,2015) إلى أن التأثير الاتصالي يزداد مع كثافة التعرض وتكرار الرسائل، وأن الطفل يعد من أكثر الفئات عرضة لتبني الأنماط السلوكية المتداولة عبر الوسائط، خاصة في حال غياب التوجيه الأسري المباشر، ويرى عباس مصطفى صادق أن إشكالية إعلام الطفل الجديد لا تكمن فقط في التلقي، بل في غياب "التربية الإعلامية" التي تمكن الطفل من تفكيك الرموز البصرية بدلاً من استهلاكها بسلبية. (صادق، 2008، ص. 42).

وعليه، يمكن النظر إلى التقليد والمحاكاة بوصفهما مؤشرين عمليين لتحول السلوك في البيئة الرقمية، حيث لا يعكس التقليد مجرد إعجاب عابر، بل قد يمثل بداية لتشكل نمط سلوكي مستمر إذا تعزز داخل جماعة الأقران ولم يجد تأطيرا نقديا داخل الأسرة.

2.2 التحولات السلوكية المرتبطة بالاستخدام المكثف للوسائط الرقمية

لا يمكن النظر إلى الاستخدام المكثف للوسائط الرقمية لدى الأطفال بوصفه عاملا أحادي التأثير، بل هو متغير يتفاعل مع مجموعة من الشروط الاجتماعية والنفسية والتربوية. فالتعرّض المطوّل للمحتوى المرئي، خاصة داخل بيئات تقوم على التدفق المستمر للفيديوهات القصيرة والصور المتتابعة، قد يسهم في إعادة تشكيل بعض أنماط السلوك اليومي، غير أن طبيعة هذا التحول تظل مرتبطة بسياق الاستخدام ونوع المحتوى المصاحب له.

تشير دراسات في علم النفس التنموي والإعلام الرقمي إلى أن كثافة التفاعل مع المحتوى السريع الإيقاع قد تؤثر في نمط الانتباه، من خلال تعزيز الاستجابة الفورية للمثيرات البصرية، وهو ما قد ينعكس على قدرة الطفل على الانخراط في أنشطة تتطلب تركيزا طويل المدى(**Christakis, 2009, P. 10**) كما تبرز أبحاث أخرى أن الاستخدام المفرط للشاشات يمكن أن يرتبط بتغيرات في أنماط النوم أو في إيقاع الحياة اليومية، خاصة حين يغيب التنظيم الزمني للاستخدام (**Twenge,2017, P. 74**).

غير أن هذه النتائج لا ينبغي فهمها في إطار حتمي؛ إذ تؤكد دراسات حديثة أن التأثيرات السلوكية تختلف تبعا لنوعية المحتوى (تعليمي/ترفيهي)، ودرجة التفاعل الأسري، ومستوى المرافقة التربوية. فالمحتوى الإبداعي

أو التعليمي قد يرتبط بنتائج إيجابية، في حين يرتبط الاستخدام غير المنظم أو المعزول بنتائج أقل توازنا (OECD, 2021, P. 54.)

وعلى مستوى التفاعل الأسري، قد يؤدي الانغماس المطول في الفضاء الرقمي إلى إعادة توزيع زمن التواصل داخل الأسرة، بحيث يقل الحوار المباشر لصالح التفاعل عبر الشاشات. غير أن هذا التحول لا يُختزل في فقدان التواصل، بل قد يتخذ أشكالا جديدة من التفاعل الرقمي المشترك إذا كان الاستخدام موجهًا ومصحوبًا بنقاش أسري (Clark, 2013, P. 112) .

ويؤكد حسن عماد مكاوي أن التأثير الإعلامي يتعاظم حين يصبح الوسيط جزءًا من الروتين اليومي للمتلقي، لأن التكرار والاستمرارية يعززان ترسيخ الاتجاهات وأنماط السلوك (مكاوي، حسن عماد ، 2020، ص. 185.) كما يشير عبد الحميد إلى أن شدة التأثير الإعلامي ترتبط بمدى اندماج الوسيط في الحياة اليومية للفرد، وهو ما يجعل الاستخدام المكثف عاملاً يجب قراءته ضمن السياق الأسري والاجتماعي لا بمعزل عنه (عبد الحميد محمد، 2015، ص. 94).

وعليه، فإن التحولات السلوكية المرتبطة بالاستخدام الرقمي ينبغي فهمها في إطار تفاعلي متعدد المستويات، حيث تتقاطع مدة الاستخدام، وطبيعة المحتوى، وبنية المنصة، ودرجة الإشراف الأسري، وخصائص الطفل الفردية، لتحدد شكل هذه التحولات وحدودها.

2.3 اللغة والتفاعل الاجتماعي في البيئة الرقمية

تشكل اللغة أحد المؤشرات الدقيقة لتحول أنماط التفاعل لدى الطفل في البيئة الرقمية، إذ لا يقتصر أثر الصورة الرقمية على السلوك الظاهر، بل يمتد إلى أساليب التعبير والعبارات المتداولة وطريقة بناء الخطاب اليومي. فالتعرض المتكرر للفيديوهات القصيرة والمحتوى سريع الإيقاع يسهم في انتقال عبارات وتعابير رقمية إلى لغة الطفل داخل الأسرة والمدرسة، مما يعكس درجة التداخل بين الفضاء الرقمي والفضاء الاجتماعي الواقعي.

وتشير دراسات الإعلام والطفل إلى أن الوسائط الرقمية تسهم في إعادة تشكيل أنماط التواصل لدى الأجيال الجديدة، حيث تصبح اللغة الرقمية المختصرة والسريعة جزءًا من الممارسات اليومية، خاصة عندما تتكرر داخل جماعة الأقران (Buckingham, 2003, P. 88.) كما تؤكد بعض الدراسات أن التفاعل

المستمر عبر المنصات الرقمية يعيد تعريف مفهوم التواصل الاجتماعي، إذ ينتقل جزء من العلاقات إلى الفضاء الافتراضي، مما يؤثر في شكل التفاعل المباشر ونوعيته)Livingstone(490 .P ,2018 ., ولا ينفصل هذا التحول اللغوي عن البعد الثقافي، إذ تشير المقاربات العربية في دراسات الاتصال إلى أن الوسيط الإعلامي يسهم في إعادة تشكيل البنى الرمزية داخل المجتمع، من خلال تكريس أنماط تعبير معينة وتهميش أخرى، خاصة في حال كثافة التعرض وغياب التوجيه النقدي (عبد الحميد محمد، 2015، ص. 120). ومن ثم فإن انتقال بعض المفردات أو أساليب المزاح أو طرق التعبير من المنصات الرقمية إلى الحياة اليومية يعكس تأثيرا يتجاوز الترفيه إلى مستوى إعادة تشكيل الرصيد اللغوي والتواصلي للطفل.

ومع ذلك، لا ينبغي النظر إلى هذا التحول بوصفه سلبيا بشكل مطلق، إذ قد يسهم التفاعل الرقمي أيضا في توسيع الحصيلة اللغوية واكتساب مهارات تعبير جديدة، غير أن طبيعة هذا الأثر تبقى رهينة بنوعية المحتوى ودرجة المرافقة الأسرية ومستوى الوعي بالتربية الرقمية.

ثالثا: عرض نتائج الدراسة الميدانية وتحليلها

كشفت الدراسة الميدانية التي شملت عينة من 85 مستجيبا عن مؤشرات رقمية دالة تؤكد فرضيات البحث حول عمق تغلغل الصورة الرقمية في البناء القيمي والسلوكي للطفل. وتتضح هذه النتائج من خلال المحاور الآتية:

1. نمط الاستهلاك الرقمي: سيادة "الزمن الرقمي"

تظهر النتائج أن **80% من الأطفال يقضون أكثر من ساعتين يومياً** أمام الشاشات، وهو ما يتجاوز المعدلات الموصى بها عالمياً في كثير من الأدبيات التربوية. هذا الانغماس الزمني يفسر تحول الوسيط الرقمي إلى "بيئة عيش" وليس مجرد أداة ترفيه عابرة. كما أن تصدر **الألعاب الإلكترونية (32.9%) ويوتيوب (30.6%)** للمشهد الاستهلاكي يعزز من فكرة جاذبية "الصورة المتحركة والتفاعلية" مقارنة بالوسائط التقليدية.

2. المحاكاة والتمثل: من الصورة إلى السلوك

تتقاطع النتائج الميدانية بشكل مذهل مع **نظرية التعلم الاجتماعي لـ "بندورا"**؛ حيث أكد **60% من المستجيبين أن أطفالهم يقلدون الشخصيات الرقمية "دائماً"**، بينما لاحظ **54.1% تغيراً مؤكداً في السلوك**. هذا يعكس قوة "النموذج البصري" في تقديم قوالب جاهزة للسلوك يتبناها الطفل بمجرد الملاحظة

المتكررة، وهو ما يفسر أيضاً التأثير القوي على **اللغة والمفردات (71.8%)**، حيث تصبح اللغة الرقمية هي المرجعية التعبيرية الجديدة للطفل.

3. تحديات الوساطة الأسرية في ظل "العزلة المشتركة"

تبرز النتائج إشكالية تربوية تتمثل في **"المشاهدة المنفردة" (67.1%)**، مما يحقق نبوءة **شيري توركل (Turkle)** حول "العزلة المشتركة". فرغم تواجد الطفل داخل الفضاء الفيزيائي للأسرة، إلا أنه ينفصل عنها شعورياً واتصالياً داخل شرنقته الرقمية. هذا الانفصال يضعف دور **المراقبة الأسرية (41.2% فقط يراقبون دائماً)**، ويجعل الطفل يتلقى القيم البصرية دون "مصفاة" نقدية من الوالدين، رغم الإدراك العالي بضرورة التوعية (98.8%).

رابعا: مناقشة النتائج في ضوء المقاربة السوسيو–إعلامية

تأسيسا على النتائج الميدانية، يمكن قراءة تأثير الصورة الرقمية من خلال تقاطع الأبعاد الاجتماعية والوسائطية وفق الآتي:

1. الفضاء الرقمي كبيئة تنشئة بديلة

تؤكد نتائج الدراسة تحولاً جوهرياً في بنية التنشئة الاجتماعية؛ فاعتماد 80% من الأطفال على الشاشة لأكثر من ساعتين يشير إلى أن الصورة الرقمية غدت فضاءً اجتماعياً موازياً. وبحسب النتائج، فإن تفضيل 67.1% من الأطفال للمشاهدة المنفردة يعكس حالة "العزلة المشتركة" التي وصفتها (Turkle , 2011, P. 19)حيث ينسحب الطفل من التفاعل الأسري ليندمج مع نماذج افتراضية، مما يضعف دور الأسرة في ضبط المرجعية القيمية، ويجعل التجربة الإعلامية انغماساً يومياً كلياً كما ذهب إليه. (Buckingham , 2003, P. 12)

2. آلية النمذجة الإعلامية وصناعة السلوك

تثبت الدراسة فاعلية نظرية التعلم الاجتماعي؛ إذ إن نسبة التقليد التي بلغت 60% تؤكد أن الصورة الرقمية تعمل كـ "نموذج سلوكي" يتجاوز مجرد المشاهدة السطحية إلى استدماج السلوك (Bandura, 2001, P. 272). وتجلى ذلك في التأثير اللغوي (71.8%)، مما يشير إلى أن اللغة قد تمت إعادة صياغتها وفق القوالب الإعلامية، وهو ما ينسجم مع طرح (عبد الحميد، 2015، ص. 120) حول دور الوسيط في إعادة تشكيل البنى الرمزية داخل المجتمع.

3. سوسيولوجيا الرقابة والسيولة القيمية

تعكس النتائج صراعاً بين سلطة الأهل وسلطة الصورة؛ فعدم قدرة 49.4% من الأهالي على المراقبة الدائمة يفسر بتطور أدوات الاستهلاك الرقمي التي منحت الطفل استقلالية إعلامية مبكرة. وهذا يؤدي إلى ما يسميه (Mirzoeff, 2015, P. 28) بهيمنة "الإطار البصري" في فهم العالم، حيث يستهلك الطفل الرموز دون مصفاة نقدية، مما يؤكد مخاوف من غياب التربية الإعلامية التي تمكن الطفل من تفكيك الصور بدلاً من استهلاكها بسلبية(صادق، 2008، ص. 45).

4. الصورة كنسق دلالي وقيمي

إن تحول الصور الرقمية المتكررة إلى نماذج مرجعية للنجاح أو القبول الاجتماعي لدى العينة يثبت أن الصورة حضورها "دلالي" قبل أن يكون "ترفيهياً". فهي تزود الطفل بإشارات جاهزة عما هو جدير بالإعجاب (بنكراد، 2019، ص. 45). وبذلك، فإن "التنشئة الرقمية" باتت تنافس التنشئة الأسرية، مما يتطلب إعادة تعريف دور الأسرة لتنتقل من "الرقيب" إلى "الشريك الناقد" (Clarck, 2013, P. 112).

التوصيات المقترحة:

بناءً على هذه المعطيات، يمكن تقديم التوصيات الآتية للأهالي والباحثين:

نحو "عقد رقمي" أسري: بدلاً من المنع، يجب الاتفاق على ساعات جودة خارج الشاشات لكسر حاجز الساعتين الذي يسقط فيه 80% من الأطفال.

تفعيل "المشاهدة التشاركية": لمواجهة نسبة 67% من المشاهدة المنفردة، يجب على الوالدين مشاركة الطفل اهتماماته الرقمية لفتح قنوات نقاش حول القيم المعروضة.

التربية على الانتقاء: بما أن اليوتيوب والألعاب هي المصادر الأساسية، يجب تعليم الطفل كيف يختار القنوات والمحتوى الذي يضيف لرصيده المعرفي بدلا من الاستهلاك السلبي.

تنمية الذكاء العاطفي واللغوي: لمواجهة التأثير اللغوي الرقمي (71%)، يجب تعزيز القراءة والأنشطة الواقعية التي تعيد للطفل مهارات التواصل المباشر ولغة الجسد.

خاتمة

في نهاية هذا البحث، يمكننا القول إن الصورة الرقمية أصبحت اليوم جزءاً لا يتجزأ من حياة الطفل اليومية، ولم تعد مجرد وسيلة للتسلية، بل أصبحت مصدراً أساسياً يتعلم منه الطفل كيف يتصرف ويتحدث ويفهم العالم من حوله. ومن خلال ربط النظريات بالنتائج الميدانية، يمكن تلخيص أهم ما توصلت إليه الدراسة في النقاط الآتية:

سيطرة الشاشات على وقت الطفل: أظهرت الأرقام أن أغلب الأطفال يقضون وقتاً طويلاً جداً أمام الأجهزة، مما جعل "العالم الافتراضي" هو المكان الأول الذي يستقون منه أفكارهم، بدلاً من اللعب أو التفاعل المباشر مع الأسرة.

قوة التقليد والمحاكاة: تبين بوضوح أن الطفل يميل بشكل كبير لتقليد ما يراه في الفيديوهات والألعاب، سواء في حركاته أو في طريقة كلامه. وهذا يؤكد أن ما يشاهده الطفل لا يمر عابراً، بل يتحول إلى سلوك فعلي يمارسه في حياته.

تراجع الدور التوجيهي للأسرة: كشفت النتائج أن ميل الأطفال للمشاهدة بمفردهم خلق نوعاً من العزلة داخل البيت، مما جعل من الصعب على الوالدين متابعة أو تصحيح ما يراه الطفل، وأدى ذلك إلى تأثر قيم الطفل بالنماذج الرقمية أكثر من تأثره بنصائح الأهل.

تغير اللغة وأسلوب التعبير: اللغة هي المرآة التي تعكس هذا التأثير؛ إذ إن اكتساب الطفل لمفردات رقمية جديدة يعكس مدى انغماسه في هذا الفضاء، وكيف أن الصور المتكررة بدأت تعيد تشكيل أسلوبه في التواصل مع الآخرين.

إن حماية قيم الطفل وسلوكه في ظل هذا الانفجار الرقمي لا تكمن في منعه من الأجهزة، بل في تعليمه كيف يختار ما يشاهده، وفي مشاركته هذه الأوقات بدلاً من تركه وحيداً أمام الشاشة. إن الهدف هو بناء طفل واعٍ يستطيع الاستفادة من التكنولوجيا دون أن يفقد قيمه الأصيلة أو توازنه السلوكي.

المراجع العربية:

- بنكراد، سعيد .(2019)سيميائيات الصورة :سيمياء التأويل، الدار البيضاء :المركز الثقافي العربي.
- صادق، عباس مصطفى .(2008)إعلام الطفل :المبادئ والمعايير، دبي :دار العالم العربي.
- عبد الحميد، محمد .(2015)نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، القاهرة :عالم الكتب.
- مكاوي، حسن عماد .(2020)تكنولوجيا الاتصال ونظرياته، القاهرة :الدار المصرية اللبنانية.
- مكاوي، حسن عماد، والسيد، ليلى حسين .(2021)الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية.

المراجع الأجنبية:

- Bandura, A. (2001). Social Cognitive Theory of Mass Communication. Media Psychology, 3(3), 265-299.
- Berger, P. L., & Luckmann, T. (1966). The Social Construction of Reality. New York: Anchor Books.
- Boyd, D. (2014). It's Complicated: The Social Lives of Networked Teens. Yale University Press.
- Bucher, T. (2018). If...Then: Algorithmic Power and Politics. Oxford University Press.
- Buckingham, D. (2003). Media Education: Literacy, Learning and Contemporary Culture. Polity Press.
- Christakis, D. A. (2009). The effects of infant media usage: what do we know and what should we learn? Acta Paediatrica, 98(1), 8-16.
- Clark, L. S. (2013). The Parent App: Understanding Families in the Digital Age. Oxford University Press.
- Livingstone, S., et al. (2018). European evidence on the digital opportunities and risks for children. European Journal of Communication, 33(5), 480-496.
- Mirzoeff, N. (2015). How to See the World. Pelican Books.
- OECD (2021). 21st-Century Children: Emotional Well-being in the Digital Age. OECD Publishing.
- Turkle, S. (2011). Alone Together: Why We Expect More from Technology and Less from Each Other. Basic Books.
- Twenge, J. M. (2017). iGen: Why Today's Super-Connected Kids Are Growing Up Less Rebellious, More Tolerant, Less Happy. Atria Books.